[292] فإذا مات بكيا عليه وذلك قول الله تعالى * (فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين) * (فصل مما ذكر في تأويل قول الله عزوجل * (فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين) * الدخان (اعلم) ان هذه الاية نزلت في قوم فرعون الذين اهلكهم الله عزوجل واورث ارضهم ونعمهم غيرهم وفيها وجوه من التأويل احدها ما ورد به الخبر الذي قدمناه عن رسول الله صلى الله عليه واله من ذكر البابين الذين لكل مؤمن يصعد من احدهما عمله وينزل من الاخر رزقه وانهما يبكيان عليه بعد موته ومعنى البكاء هاهنا الاخبار عن الاختلال بعده كما يقال بكى منزل فلان بعده قال مزاحم العقيلي * بكت دارهم من اجلهم فتهلكت * دموعي فاي الجازعين الوم * امستعبرا يبكي من الهون والبلى * وآخر يبكي شجوه ويهيم * فإذا لم يكن لها ولا للقوم الذين اخبر الله تعالى ببوارهم مقام صالح في الأرض ولا عمل كريم يرفع الى السماء جاز ان يقال فما بكت عليهم السماء والارض وقد روى عن ابن عباس رحمه الله انه قيل له وقد سئل عن هذه الايه أو تبكي السماء والأرض على أحد فقال نعم مصلاه في الأرض ومصعد عمله في السماء والوجه الثاني من التأويل ان يكون تعالى اراد المبالغة في وصف القوم الذين اهلكهم بصغر القدر وسقوط المنزلة لأن العرب إذا اخبرت من عظم المصاب بالهالك قالت كسفت لفقده الشمس واظلم القمر وبكاه الليل و النهار والسماء والأرض يريدون بذلك المبالغة وعظم الامر وشمول المصيبة قال جرير يرثي عمر بن عبد العزيز * الشمس طالعة ليست بكاسفة * تبكي عليك نجوم الليل والقمرا * وفي انتصاب النجوم والقمر في هذا البيت ثلاثة وجوه احدها انه اراد ان الشمس طالعة وليست مع طلوعها كاسفة نجوم الليل والقمر عظم الرزية قد سلبها ضوءها فلم يناف طلوعها ظهور الكواكب الوجه الثاني ان يكون انتصابها على معنى قوله لا اكلمك الابد وطول المسند وما جرى مجرى ذلك فكأنه اخبر بان الشمس تبكيه ما طلعت النجوم وما ظهر القمر والوجه الثالث ان يكون نجوم الليل والقمر باكيين الشمس على هذا المفقود فبكتهن أي غلبتهن بالبكاء كما يقال باكاني عند الله فبكيته وكاثرني فكثرته اي فضلت عليه وغلبته والوجه الثالث من التأويل ان يكون الله تعالى اراد بقوله فما بكت عليهم السماء والأرض أهل السماء وأهل الأرض وحذف اهل كما قال عزوجل واسئل القرية وكما قال حين تضع الحرب اوزارها وإنما اراد اصحاب الحرب ويجري ذلك مجرى قولهم السخاء سخاء حاتم قال الشاعر * قليل عيبه والعيب جم * ولكن للغنى رب غفور * يريد ولكن الغنى غنى رب غفور _____